مجلة الآداب واللغات
جامعة أبي بكر بلقايد،تلمسان / الجزائر
ISSN : 2676-1963/ EISSN: 2676-167X
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/416

# الرّوابط اللّغويّة ودورها في حجاجيّة الخطاب الصّوفيّ

# *Pilgrim links and their role in the argumentative Sufi discourse*

هشام فرّوم*،جامعة الشاذلي بن جديد، الجزائر. hichamferroum@gmail.com

تاريخ المقال
الإرسال:2021-05-20 القبول:2021-11-24 النشر:2022-07-15

الكلمات المفتاحية
الحجاج
الرابط اللّغوي
الإقناع
الخطاب الصوفي

ملخص البحث

انطلاقا من قانون الانتقاء وهو قانون حجاجيّ عامّ؛ يعني الاختيار الدقيق والواعي لدقائق الخطاب قبل قضاياه الكبرى. سنتناول ضمن هذا العمل جملة الاختيارات على مستوى المعجم والتركيب وصيغ التراكيب التي يعمد إليها المتكلم لغاية حجاجيّة، فيحلّ اللّفظ المحدد مكانا معينا ليقود المتلقّي إلى غاية ما، ويعتمد تركيبا دون الآخر ليقنعه بأمر ذي علاقة وطيدة بالخطاب في كليّته. لذلك ستناول بالدراسة والتحليل الروابط الحجاجية والتي تدخل ضمن الاستراتيجية الإقناعيّة المخطط لها من المتكلم بشكل دقيق.

## Abstract

Based on the selection law, which is a general pilgrimage law; It means careful and conscious selection of the minutes of the speech before its major issues. In this work, we will deal with the whole range of choices at the level of the lexicon, composition, and formulas of the structures that the speaker intends to do an argumentative purpose, so the specific word resolves a specific place to lead the recipient to a goal, and adopts a combination without the other to convince him of a matter closely related to the discourse in its entirety. Therefore, it will deal with the study and analysis of the argumentative links that fall within the persuasive strategy planned

## Keywords

Pilgrims
Language link
Persuasion
Sufi discourse

* المؤلف المرسل

by the speaker.

**1. مقدمة:**

إنّ المتكلّم حين يوجّه ملفوظه توجها حجاجيا؛ فإنّه يفعل ذلك عبر وسم هذا الملفوظ وسما حجاجيا. ويكون هذا الوسم الحجاجيّ بتضمين الملفوظ بمجموعة من العلامات والإشارات الّتي تحدّد كيف ينبغي تأويله؟ وأيّ معنى يجب إسناده إليه؟

وتعدّ الروابط والعوامل من ضمن أهمّ المواضع التي ينعكس فيها هذا التوجيه الحجاجيّ؛ بل إنّ سائر المظاهر الحجاجيّة الأخرى ترد في الغالب متفاعلة مع الروابط والعوامل.

انطلاقا من هذا اهتمّ علماء اللسانيات وعلى رأسهم (**ديكرو**) بظاهرة الروابط والعوامل الحجاجيّة، نظرا لما تحدثه من انسجام وترابط داخل النّص الحجاجيّ، وقيادة المستمع إلى الاتّجاه الّذي يريده المتكلم. تقول (**آن روبول**): "قد أدّت أعمال **أوزوالد ديكرو** إلى شيوع الروابط التداولية أو الخطابيّة في علم الدّلالة وفي التداولية أساسا"(بوزناشة نورالدين، 2008، ص186).

وقد كانت تتمركز هذه الأدوات أساسا في أبنية اللّغة وهي على أشكال مختلفة، تبعا للمجال الّذي ترد فيه، وتبعا للوجهة الحجاجيّة، فإذا كانت "محددة بالبنية اللّغويّة (العزاوي أبو بكر، 2006، ص55)؛ فإنّها تبرز في مكوّنات متنوّعة، ومستويات مختلفة من هذه البنية، فبعض هذه المكوّنات يتعلّق بمجموع الجملة؛ أي هو عامل حجاجيّ في عبارة (ديكرو)، فيقيّدها بعد أن يتمّ الإسناد فيها، ومن هذا النّوع نجد: النّفي والاستثناء والمفرّع والشّرط والجزاء. ونجد مكوّنات أخرى ذات خصائص معجميّة محددة، تؤثّر في التعليق النحويّ، وتتوزّع في مواضع متنوّعة من الجملة، ومن هذه الوحدات المعجميّة حروف الاستثناء بمختلف معانيها (بعض، كلّ، جميع)، وما اتّصل بوظائف نحويّة مخصوص، كحروف التعليل أو ما تمخض لوظيفة من الوظائف قط وأبدا" (المبخوت شكري، 1998، ص377).

كلّ هذه المكوّنات اللّغويّة، لها دور فعّال في تحقيق الوظيفة الحجاجيّة. وهي في الحقيقة -كما أسلفنا- على نوعين: روابط حجاجيّة، وعوامل حجاجيّة.

**2. الرابط اللّغويّ في المثنويّ العربيّ النوريّ:**

وهي عناصر نحويّة في طبيعتها، تربط بين قولين أو بين حجّتين (أو أكثر) على الأصحّ، وتسند لكلّ قول دورا حجاجيا محددا حسب السياق التداولي. (العزاوي أبو بكر، 2006، ص27) وترتّب درجاتها بوصف هذه القضايا حججا في الخطاب. (الشهري عبد الهادي بن ظافر، 2007، ص508) فالروابط الحجاجية إذن هي ما تختص بالربط بين عناصر الكلام، حيث تشمل اللّغة العربية على عدد كبير منها. والرّبط بهذه الحروف يعدّ قرينة لأمن اللبس في فهم الانفصال. (حميدة، 1998، ص200، 201) منها حروف العطف (الواو، الفاء، ثمّ، أو، ...)، وأدوات الاستثناء (لكن، إذن،...)، زيادة على (بل، حتّى، لاسيّما، بما أنّ، إذ، إلى، واو الحال)، وأدوات نصب المضارع وغيرها.

يتوفّر الخطاب الحجاجيّ في "**المثنويّ العربيّ النوريّ**" على مجموع روابط تنفرد كلّ منها بدلالتها وأثرها المتكوّن بين النتيجة (الطرح) والحجّة.

**2.1. حروف العطف:**

**النموذج الأوّل: الواو والفاء وثمّ:** يقول النُّورْسِيّ: "وأنت أيّها الغافل لا تبيعه، فتخون في أمانته، وتسقط قيمته من الثريا، ثمّ يضيع بلا فائدة، فيفوتك ذلك الثّمن العظيم" (النورسي، بديع الزمان، 2006، ص454).

**الأطروحة (النتيجة):** يفوتك ذلك الثمن العظيم.

**الرابط:** الواو، الفاء، ثمّ.

**الحجّة:**

1. أنت أيّها الغافل لا تبيعه.
2. تخون في أمانته.
3. سقط قيمته من الثريا إلى الثرى.
4. يضيع بلا فائدة.

**النموذج الثّاني: الواو والفاء:** يقول النُّورْسِيّ: "كما أنّ الحياة برهان الأحديّة، ودليل وجوب الوجود، فالموت دليل السرمديّة والبقاء" (النورسي، بديع الزمان، 2006،ص50)

**الأطروحة (النتيجة):** الموت دليل السرمديّة والبقاء.

**الرابط:** الواو، الفاء.

**الحجّة:**

1. الحياة برهان الأحديّة.
2. دليل وجوب الوجود.

**الأطروحة (النتيجة):** الخلق لله وحده.

**الرابط:** الواو.

**الحجّة:**

1. أنّ من جعل النّحل مثلا نوع فهرسة لأكثر الأشياء.
2. كتب في ماهية الإنسان أكثر مسائل كتاب الكائنات.
3. أدرج في نواة التينة هندسة شجرة التّين.
4. جعل قلب البشر أنموذجا ومرصادا لآلاف عوالم.
5. كتب في حافظة البشر مفصّل تاريخ حكايته وما يتعلق به.

**النموذج الثّالث: الواو:** يقول النورسي: "فمن كان له عقل لم يفسد فيه: أنّ من جعل النّحل مثلا لنوع فهرسة لأكثر الأشياء، ومن كتب في ماهيّة الإنسان أكثر مسائل كتاب الكائنات، ومن أدرج في نواة التينة هندسة شجرة التّين، ومن جعل قلب البشر أنموذجا ومرصادا لآلاف عوالم، ومن كتب في حافظة البشر مفصّل تاريخ حكايته وما يتعلّق به ... ليس إلاّ خالق كلّ شيء، وإنّ هذا التصرّف خاتم مخصوص بربّ العاملين" (النورسي، بديع الزمان، 2006، ص41).

**النموذج الرّابع: الواو:** يقول النُّورْسِيّ: "إنّ القرآن لأنّه كتاب، وكتاب دعاء، وكتاب دعوة، يكون تكراره أحسن وأبلغ بل ألزم" (النورسي، بديع الزمان، 2006، ص41).

**الأطروحة (النتيجة):** التكرار أحسن وأبلغ وألزم.

**الرابط:** الواو.

**الحجّة:**

1. القرآن كتاب ذكر.
2. القرآن كتاب دعاء.
3. القرآن كتاب دعوة.

**النموذج الخامس:** يقول النُّورْسِيّ: "إنّ الإنسان ثمرة شجرة الخلقة، والثمرة تكون أكمل لأجزاء، وأبعدها من الجرثوم، وأجمعها لخصائص الكلّ، وهي الّتي من شأنها أن تبقى وتستبقى" (النورسي، بديع الزمان، 2006، 219).

**الأطروحة (النتيجة):** الإنسان ثمرة شجرة الخلقة (أرقى خلق الله لذلك يبقى ويستبقى (البعث)).

**الرابط:** الواو.

**الحجّة:**

1. الإنسان ثمرة شجرة الخلقة.
2. الثمرة تكون أكمل الأجزاء.
3. أبعدها من الجرثوم.
4. أجمعها لخصائص الكلّ.

**النموذج السادس: ثمّ:** يقول النُّورْسِيّ: "إنّ لكلّ أحد علاقات بالمحبّة والشفقة مع أقاربه، ثمّ مع أفراد عشيرته، ثمّ مع أفراد ملّته، ثمّ مع أفراد نوعه، ثمّ مع أبناء جنسه، ثمّ مع أبناء الكائنات، ... اترك نفسك ووهم مالكيتك تظفر بسلاسة جميع محبوباتك وسعاداتهم بتسليمهم لمالكهم الكريم الرّحيم" (النورسي، بديع الزمان، 2006، ص448).

**الأطروحة (النتيجة):** أطع خالقك تسعد أنت ومن تحبّ.

**الرابط:** ثمّ.

**الحجّة:**

1. إنّ لكلّ أحد علاقات بالمحبّة والشفقة مع أقاربه.
2. مع أفراد عشيرته. – مع أبناء جنسه.
3. مع أفراد ملّته. – مع أجزاء الكائنات.
4. مع أفراد نوعه.

**النموذج السابع: ثمّ:** يقول النُّورْسِيّ: "إلى كم تبكي أيّها المسكين على زوال ما في يدك من الثّمرة، فانظر إلى تواتر نعم فالق الحبّ والنوى في إبقاء شجرة تلك الثمرة، ثمّ إلى دائرة إنعاماته، ثمّ إلى دائرة تجدّد إحساناته، ثمّ إلى دائرة إحسانه، ثمّ إلى دائرة إنعاماته الواسعة الأبديّة، ثمّ، ... و، ... ثمّ، ... فاضحك شاكرا له وبفضله افرح" (النورسي، بديع الزمان، 2006، ص492).

**الأطروحة (النتيجة):** فضال الله تعالى جالبة للفرح والسعادة.

**الرابط: ثمّ.**

**الحجّة:**

1. انظر إلى تواتر نعم فالق الحبّ والنوى في إبقاء شجرة تلك الثمرة.
2. انظر إلى دائرة إنعاماته.
3. انظر إلى دائرة تجدد إحساناته.
4. انظر إلى دائرة إدامة إحسانه.
5. انظر إلى دائرة إنعاماته الواسعة الأبدية.

**تحليل النّماذج: من الأمثلة السّابقة:** لاحظنا استعمال النُّورْسِيّ حرف (الواو) حجاجيا بشكل مكثّف، وهذا إن كان ينمّ عن شيء، فإنّه ينمّ عن كثرة حججه وتنوّعها وتعدّدها نظرا لموسوعية فكره وشموليّة خطابه. وقد قامت (واو العطف) بوظيفتها هذه بعدّها رابطا يقوم بترتيب الحجج بطريقة وصل بعضها ببعض؛ لغرض تقويّة هذه الحجج ووضعها بشكل نسقي أفقي، تقوّى كلّ حجّة منها بالأخرى. (الشهري عبد الهادي بن ظافر، 2007، ص472) وهي في الآن ذاته عاطفة لمطلق الجمع، بمعنى جمع سواء أكان مرتّبا أم غير مرتّب (ابن هشام الأنصاري، 2015، 463/1)، كما جاء في المثالين الرّابع والخامس؛ حيث تتكوّن البنية اللّغويّة في المثال الرّابع من جمل اسميّة معطوف بعضها على بعض بحرف العطف (الواو)، في حين تتكوّن البنية اللّغويّة في المثال الخامس من جمل اسميّة معطوف بعضها

على بعض وهي معطوفة على جمل فعليّة معطوف بعضها على بعض.

وفي هاذين المثالين أورد النُّورْسِيّ حججه متّسقة غير منفصلة، بل مكثّفة. قائمة على أنّ كلّ حجّة تقوم بتقوية التي تليها من خلال هذا الرّابط (الواو).

فالرّابط إذن قام بتعليق الحجّة بالحجّة؛ لتقويّة النتيجة المطروحة ودعمها ومساندتها. وهنا تجلّت قدرة النُّورْسِيّ على استثمار هذه الأداة اللغوية بمعانيها وخصائصها وإمكاناتها المعروفة، تبعا لتنوّع وظائفها في السياقات الممكنة.

ومن الأدوات اللّغويّة المستخدمة حجاجيا في "المثنويّ العربيّ النوريّ" أيضا، يأتي الرابط الحجاجي (فاء العطف)، رابطا يحقق الانسجام الحجاجي في ترتيب النتائج؛ إذ من معانيها الترتيب والتعقيب. قال سيبويه: "هي تضمّ الشيء إلى الشيء كما فعلت الواو غير أنّها تجعله متّسقا بعضه في أثر بعض، وذلك نحو قولك: مررت بعمرو فزيد فخالد، وسقط المطر بمكان كذا وكذا فمكان كذا وكذا" (سيبويه، 2014، 217/4).

ولها دلالات عديدة تختلف باختلاف تموضعها في الكلام، لكنها هنا في الأمثلة الحاضرة لا تكاد دلالتها، إلى جانب الربط بين النتيجة والحجة، تتجاوز التعليل والتفسير؛ حيث تأتي مباشرة بعد الانتهاء من إلقاء النتيجة (الطّرح)، ولتحيل إلى ما يفسّره ويعلّل مضمونه من الحجج. (مدقن هاجر، 2013، ص161). كما جاء في قول النُّورْسِيّ في النموذج الأوّل: "فتخون في أمانتك"، وقوله: "فيفوتك ذلك الثمن العظيم".

فالرّابط الحجاجيّ (الفاء) هنا وصل بين متغيرين يؤديّان وظيفة الحجّة أو النتيجة. وقد استعمل تحديدا دون غيره من أدوات العطف لدلالته على تقارب الأحداث. فالحياة الدنيوية عند الله تعالى لا تساوي مقدار لحظات من الزّمن، فلا يغرنّك أيّها الإنسان طول الأمل، ولا يغرنّك توالي السنين، فأنت هنا لأداء أمانة كُلّفت بها، فإمّا تفوز وتسعد، وإمّا أن يفوتك ثمن عظيم فتشقى وتحزن.

كذلك استعمل حرف (الفاء) حجاجيا للربط بين الحجة والنتيجة كما في قوله في النموذج الثّاني: "فالموت دليل السرمديّة والبقاء". وقد جاء استعمال هذا الرابط في مكانه المناسب؛ لأنّه لا فاصل في حقيقة الأمر بين نهاية الحياة (حجّة) وبداية الموت(نتيجة)؛ فالتعالق والتلازم والتقارب شديد بين هاتين المرحلتين، بل لا يمكن الفصل بينهما؛ إذ لحظة نهاية الحياة تمثّل بداية الموت.

نلاحظ إذن من خلال المثالين السابقين أنّ هذا الرابط البسيط استطاع أن يصدّر إلى المتلقّي المعنى الصحيح، ويؤكّده، فلو استعملت أداة أخرى غير (الفاء) لأصبح المعنى مختلفا.

وهناك أيضا الرّابط (ثمّ) الّذي يفيد العطف والترتيب؛ إلاّ أنّها تختلف عن (الفاء) في المهلة؛ إذ المهلة معها أطول، وفيها تراخ؛ وذلك لأنّ لمّا تراخى لفظها بكثرة حروفها تراخى معناها؛ لأنّ الفظ مؤذنة بقوة المعنى. (الزمخشري، 2008، 281/1)

من أمثلتها في "المثنويّ العربيّ النوريّ" النموذج السّادس. فقد أفاد النُّورْسِيّ من هذا الرابط في تقديم حجّته، وحصول ترتيب الحجج وفقا لتسلل محدد، هدفه التأثير في المتلقي وتعديل سلوكه.

ولقد أفادت (ثمّ) الترتيب الحقيقي، وإيحاء خاصّا بالمهلة والتراخي والبطء بالجمع بين قضيتين متباعدتين. فالمحبة والشفقة لكلّ صنف ظاهرة حاضرة، على أنّها تختلف وتتباين كلّما تدرجنا في سرد هذه الأصناف.

وهذا ترتيب فطري لا يمكن بأيّة حال من الأحوال تغييره أو الشكّ في حقيقته إلاّ ما شذّ.

كذلك استعمل هذا الرّابط بقوّة في توصيل المعنى وتأكيده من خلال النموذج السّابع؛ حيث ترابطت الحجج ترابطا دقيقا، وتسلسلت وفق رؤية محددة (من النعم، إلى تجددها، إلى دوامها، إلى أبديّتها، ... وهكذا). لنخلص إلى نتيجة مفادها: أن على الإنسان أن يثق في ربّه، فيفرح بأفضال مولاه ويشكره لأنّ نعمه أبديّة لا تنتهي.

وما يمكن أن نستنتجه من كلّ هذه الأمثلة، أنّ حروف العطف (الواو، الفاء، ثمّ) لها قيمة حجاجيّة كبيرة. فبالإضافة إلى ربطها بين قضيتين (حجتين) أو أكثر لنتيجة واحدة؛ فإنّها تسهم في بداعة المعنى المقصود، وخاصّة إذا استعمل كلّ حرف واستغلت وظيفته في الموضع المناسب، فذلك يزيد من الإثبات على المعنى من جهة، ويضفي على الخطاب نوعا من الانسجام والتنظيم.

### 2.2. الرابط الحجاجي (لكن):

حرف مشبّه بالفعل، من أخوات (إنّ) تدخل على الجملة الاسميّة، فتنصب المبتدأ اسما لها، وترفع الخبر خبرا لها (تُبقي على المرفوع). وهي من الروابط التي تدرج حججا قويّة، تفيد معنى الاستدراك؛ أي "تعقيب الكلام برفع ما يتوهّم ثبوته أو نفيه" (الشهري عبد الهادي بن ظافر، 2007، ص509). بمعنى أنّها تنسب "لما بعدها حكما مخالفا لحكم ما قبلها، ولذلك لابدّ أن يتقدّمها كلام مناقض لما بعدها" (الشهري عبد الهادي بن ظافر، 2007). أي أنّها تنسب حكما لاسمها يخالف المحكوم عليها قبلها. "كأنّك لمّا أخبرت عن الأوّل بخبر، خفت أن يتوهّم من الثّاني مثل ذلك، فتداركت بخبره إن سلبا، وإن إيجابا. ولذلك لا يكون إلاّ بعد كلام، ملفوظ به، أو مقدّر ... ولا تقع إلاّ بين متنافين بوجه ما ... قال الزمخشري: لكن للاستدراك، توسّطها بين كلامين متغايرين، نفيا وإيجابا بالنفي ... والتغاير في المعنى بمنزلته في اللّفظ "(الشهري عبد الهادي بن ظافر، 2007، ص509). وهذا يوضّح أنّ المرسل يستدرك بها بعد نفي أو نهي. وهذا ما يسمّى بالتعارض الحجاجيّ أو التعاند الحجاجيّ الّذي يكون بالحجج الّتي تساق لمساندة نتيجتين متعارضتين؛ أيّ أنّ كلّ حجّة تساند نتيجة هي نقيض النتيجة التي تساندها الحجّة الأخرى. فعندما يقول **النُّورْسِيّ** متحدثا عن القرآن الكريم: "... كما أنّه كتاب ذكر، كذلك هو كتاب فكر، وكما أنّه كتاب واحد، لكن فيه كتب كثيرة في مقابلة جميع حاجات الإنسان المعنويّة" (النورسي، بديع الزمان، 2006، ص70).

فقوله (كتاب واحد) مثّل حجّة، وقوله الآخر (فيه كتب كثيرة) مثّل حجّة أخرى متعارضة مع الأولى، وإن كان تعارضا في الشكل لا في المضمون. وقد كانت (لكن) نقطة الفصل بين الحجتين. ولكن غالبا ما يوّجه الاهتمام إلى ما بعدها لقوّته فيدعّم كما هو في هذا المثال.

لقد ربطت (لكن) بين الجملتين ربطا حجاجيا وجعلت الدّليل الثّاني أقوى حجاجيا من الأوّل؛ بمعنى أنّ "المتكلّم يقدّم الحجّة الثّانيّة باعتبارها الأقوى، وباعتبارها توجّه القول أو الخطاب برمّته" (العزاوي أبو بكر، 2006، ص58).

وهذا أيضا ينطبق على المثال الآتي:

يقول **النُّورْسِيّ**: "أيّها الإنسان، إنّك ثمرة أو نواة لشجرة الخلقة، فبجسمانيّتك أنت جزء صغير ضعيف، عاجز، ذليل، مقيّد محدود، لكن الصّانع الحكيم رقّاك بلطيف صنعه من الجزء الجزئي إلى الكلّ الكليّ" (النورسي، بديع الزمان، 2006، ص353).

**ح1 (الإنسان ضعيف)**

**ح2 (رقاك الله)**

**= ن (ضمنية) الإنسان بفضل الله غير ضعيف**

وعليه فإنّ المرسل يستعمل الرابط (لكن) لعكس الاستدراك وتوجيه الحجاج لما سيتلوها، اعتمادا على ما قيل قبلها. (الشهري عبد الهادي بن ظافر، 2007، ص511)

**الإنسان جزء صغير ضعيف**

**عاجز ذليل مقيّد محدود**

**لكن**

**ضعيف و و ⟸ بفضل الله تعالى**

**صار الإنسان أرقى**

**خلق الله**

**تغيير الوجهة الحجاجيّة**

فالرّابط (لكن) حين "توسّط دليلين باعتباره رابطا حجاجيا، جعل الدّليل الوارد بعده أقوى من الدّليل الّذي سبقه، فتكون للاحق الغلبة المطلقة، بحيث يتمكّن من توجيه القول بمجمله فتكون النتيجة التي يقصد إليها هذا الدّليل الثّاني ويخدمها هي نتيجة القول برمّته" (سامية، 2008، ص347).

**الإنسان غير ضعيف**

**ح2 رقاه الله**

**لكن**

**ح1 الإنسان ضعيف**

وما يؤكّد طواعيّة (لكن) في هذه الخاصيّة هو دلالتها على الإيجاب بعد النفي. فكلّ خطاب تالٍ لها هو الحجّة الأقوى صوب الدّعوى الّتي يدّعيها المرسل؛ وبهذا يكون معناها "في جميع مواضعها الاستدراك" (الشهري عبد الهادي بن ظافر، 2007، ص512).

إذن بمكن القول إنّ الرّابط الحجاجي (لكن) له وظيفة تداولية مختلفة، يجعل من خلالها للوحدة الّتي تليها فعلا مضادا. وهي من الأدوات التي يعمد المرسل إلى استعمالها لترتيب الحجج في سلّم حجاجيّ باستثمار خاصيّة الانعكاس فيها، بغية تحقيق الإقناع لدى المتلقيّ.

### 2. 3. الرابط الحجاجي (بل):

بل: حرف إضراب عن الأوّل، وإثبات للثّاني، وتستعمل بعد النّفي والإيجاب، ويأتي بعدها المنفي كما يأتي الموجب.

قال النّحاة: وهي أعمّ في الاستدراك بها من (لكن). وقيل هي للإعراض عمّا قبلها؛ أي جعله في حكم المسكوت عنه، فإذا انضم إليها (لا) صار نصا في نفي الأوّل نحو: جاء زيد لا بل عمرو. ثمّ إن تلاها جملة كانت بمعنى الإضراب. (الزركشي بدر الدين، 1994، 205/3). وقال **الخشّاب**: إذا قلت: جاء زيد لكن عمرو لم يجز لك أن تقدّر (لكن) حرفا عاطفا جملة على جملة، وإن شئت اعتقدتها حرف ابتداء يستأنف عندها الكلام، وهكذا إذا جاءت في القرآن. فإن اعتقدتها عاطفة فلا وقف على ما قبلها دونها؛ إذ لا تقف على المعطوف عليه وتبتدئ بالمعطوف. وإن اعتقدتها حرف ابتداء فلك الخيار في الوقف على ما قبلها ووصله. (الزركش بدر الدين، 1994، 206/3).

وأجاز المبرّد ومن تبعه أن يكون ما قبلها معنى النفي، والنهي لا بعدها. فإذا قلت: ما رأيت زيدا بل

عمرا بل ما رأيت عمرا؛ لأنّك إذا أضربت عن موجب في: رأيت زيدا بل عمرا، أضربت إلى موجب، فكذلك تضرب عن منفي إلى منفي. (الشهري عبد الهادي بن ظافر، 2007، ص512).

ومن هنا تكمن حجاجيّتها في أنّ المرسل يرتّب بها الحجج في السلّم الحجاجيّ، بما يمكن تسميته بالحجج المتعاكسة، وذلك بأن بعضها منفي وبعضها مثبت؛ حيث "يربط بين الحجج والنتائج، والنتيجة المضادّة، ستصبح نتيجة القول برمّته؛ لأنّ الحجّة الّتي بعد (بل) أقوى من الحجّة الّتي ترد قبلها" (العزاوي أبو بكر، 2006، ص62، 63).

من أمثلة ذلك في "**المثنويّ العربيّ النوريّ**" قول **النُّورْسِيّ**: "... وكذا لصانع هذه المصنوعات الجميلات المليحات المزينات المنورات، محاسن جمال مجرّد معنوي بلا مثل، وله لطائف حسن مخفي يليق به بلا نظير؛ بل في كلّ اسم من أسمائه كنوز مخفيّة من جلوات ذلك الحسن المنزّه والجمال المجرّد" (النورسي، بديع الزمان، 2006، ص92).

فالمرسل لا يريد إبطال ما قبل (بل)، بقدر ما يريد الانتقال بالمعنى من درجة أدنى إلى درجة أعلى في التأكيد وفي دقّة التوصيف؛ أي من درجة دنيا في الحجاج إلى درجة أعلى، بحيث تكون الحجّة الّتي بعد (بل) أقوى في التدليل والبرهنة وألزم في التوجيه والإقناع.

وتفسير هذا المثال: أنّ صفات الله وأسمائه تتجاوز مستوى (لطائف حسن مخفي)، بل هي (كنوز مخفيّة في ذلك الحسن المنزّه).

**(ح3) هي كنوز مخفيّة**

**بل ن (ضمنية)**

**(ح2) وله لطائف حسن مخفي ليس مثله شيء**

**(ح1) وكذا لصانع.. محاسن**

**جمال مجرد**

إذ وضع ما بعد (بل) في درجة أقوى للدّلالة على تفرّد الله سبحانه وتعالى في صفاته وأسمائه وكلّ ما يتعلّق به جلّ وعلا "**فليس مثله شيء وهو السّميع العليم**". وهذا يؤكّد سلميّة (بل) كرابط حجاجيّ؛ حيث تضرب عن الحجّة الأدنى إلى استعمال الحجّة الأعلى.

**(ن) ليس مثله شيء (ضمنية)**

**ح3 كنوز مخفيّة من ح1 وح2**

**بل**

**ح2 لطائف حسن مخفيّ**

**ح1 محاسن جمال مجرّد**

ويتّسق مع (بل) في التركيب ضمن هذا المعنى تلك الخطابات الّتي تتضمّن (ليس، فحسب، بل، ...)، وذلك لتثبيت كلا الجزأين بعد ترتيبهما صعودا، فيصبح ثبوت الأوّل بوصفه حجّة دنيا، وزيادة الآخر فوقه بصفه الحجّة الأقوى؛ إذ أنّ الحجج الّتي تقع بين (ليس - فحسب)، تعدّ في درجة أدنى حتّى لو كانت ذات قيمة عليا في نظر المرسل إليه؛ إذ يضعها المرسل بهذا في أدنى السلّم ليوحي إلى المرسل إليه مقدّما بأنّ ما بعدها أقوى منها. (الشهري عبد الهادي بن ظافر، 2007، ص516) وهذا ما يجعله ينتظر تلك الحجج بفارغ الصبر، وبالتالي يفرض الخطاب سلطته وهيمنته على المرسل إليه.

مثلما نرى في المثال الآتي: يقول **النُّورْسِيّ**: ".. فيعلم من هذه الكيفيّة، أنّ ما يُشاهد من هذه الاجتماعات والافتراقات، ليست مقصودة لذاتها، بل إنّما هي تمثيل

وتقليد لتؤخذ صورتها وتركّب وتحفظ نتائجها" (النورسي، بديع الزمان، 2006، ص89، 90).

فالنتيجة (ن) أو الدّعوى هي (أنّ هذه المنازل المؤقتة السيّارة سوف تفنى وتنتهي وتحلّ محلّها المملكة المستمرة الدّائمة). والحجج على ذلك عند المرسل حجتان: أولاهما: هو أنّ الحياة الدنيوية بكلّ تفاصيلها ليست مقصودة لذاتها. وثانيهما: هو أنّ الحياة الدنيوية ما هيّ إلاّ مجرّد تمثيل وتقليد لبعض صور الآخرة.

**(ن) صورتك في الآخرة نتيجة لصورتك في الدنيا (ضمنية)**

**ح2 تمثيل وتقليد**

**بل**

**ح1 الحياة ليست مقصودة لذاتها**

إنّ وضع الحجّة الأولى في أدنى السلّم بالرّغم من أهميّتها ودلالتها القويّة في توصيف الدنيا للمرسل إليه من خلال عبارة (ليست مقصودة لذاتها)، تؤكّد أنّ هذا طبيعة هذا التركيب هو ما أنزلها هذه المنزلة. وفي الوقت ذاته أوحت للمرسل إليه أنّ لدى المرسل حجّة أقوى ودليلا أرفع منها في تحديد قيمة الدّنيا، تمثّلت في الحجّة الأخرى صنعها الرّابط (بل). وبالتالي تبوّأت قوّتها السلميّة بفضل إيرادها بعد هذا الرّابط.

وعليه فإنّ الرّابط الحجاجيّ (بل) يعدّ من الأدوات اللّغويّة الحجاجيّة التي تساعد في ترتيب الحجج، وتوزيعها.

**2. 4. الرابط الحجاجي (حتّى):**

يستعمل الرّابط الحجاجيّ (حتّى) في مواضع للتناسب والتساوق الحجاجيّ؛ أي اتّساق الحجج لخدمة نتيجة واحدة. ويمكن معرفة ذلك من خلال السياق التداولي الوارد فيه.

وهي من أدوات السلّم الحجاجيّ، لدورها في ترتيب منزلة العناصر؛ حيث توفّر للحجّة تقويّة تجعلها غير متساوية قوة وضعفا، تأثيرا وإقناعا. وبالتالي تكون هي المحرّك للعلائق الحجاجيّة داخل الملفوظ ذاته، وداخل القسم الحجاجيّ، حتّى يُنزَّل الملفوظ في درجته الحقيقيّة من السلّم الحجاجيّ، فيكون أقرب تحقيقا للمفهوم والنتيجة. (الناجح عزالدين، 2011، ص133، 134).

وهذا ناتج عن تنوّع معانيها واستعمالاتها. أوّلها (حتّى الجائرة) الّتي تعني انتهاء الغاية، على أن يراعي المرسل تحقق شروط مجرورها في التركيب وهو: "الأوّل: أن يكون ظاهرا في الغالب. والثّاني: آخر جزء، أو ملاق لآخر جزء. وأن يكون المجرور بها داخلا فيما قبلها على الغالب، وأن يكون الانتهاء به أو عنده" (المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص543، 544). ومثال على ذلك من المدوّنة قول **النُّورْسِيّ**: "... لهذا أدرج الحكيم الرّحيم أكثر المقاصد القرآنيّة في أكثر سوره لاسيما الطويلة، حتّى صار كلّ سورة قرآنا صغيرا" (النورسي، بديع الزمان، 2006، ص70). فالرّابط (حتّى) في الملفوظ ساعد على تقوية إيقان المتقبّل بالنتيجة، بل إنّ الرّابط قبل ذلك يرسم له صورة المسلك الّذي ينبغي عليه قطعه للوصول إلى النتيجة، وهو في أثناء ذلك كلّه يقوّي النتيجة الّتي يروم الملفوظ إيصالها. فالنّص يشتمل على حجتين هما: **ح1 (أكثر المقاصد القرآنية في أكثر سوره)**. **ح2 (صار كلّ سورة قرآنا)**.

وهما تخدمان معا النتيجة الضمنيّة أو المحتملة: **ن (المقاصد القرآنيّة ثابتة لا تتغيّر في جميع صوره= القرآن وحدة متشابهة لتوحّد مقاصده)**.

ولكن السّؤال الّذي نطرحه هنا هو الآتي: هل سترد هاتان الحجتان في نفس الدرجة من السلّم الحجاجيّ؟ وهل لهما قوّة حجاجيّة متماثلة؟ إنّ الجواب سيكون

بالنفي طبعا، فالحجّة الّتي جاءت بعد (حتّى) هي الحجّة الأقوى؛ لأنّها تمثّل القرينة الأوضح لتحديد النتيجة الضمنيّة المحتملة.

**ن (القرآن وحدة متشابهة لتوحّد مقاصده)**

**ح2 صارت كلّ سورة قرآنا صغيرا**

**حتّى**

**ح1 المقاصد القرآنيّة تحتويها أغلب السور**

وثاني استعمالاتها يأتي فيما يعرف بـ (حتّى العاطفة)، مع مراعاة المرسل شروط المعطوف، وهي "شرطان: الأوّل: أن يكون بعض ما قبلها، أو كبعضه (...). الثّاني: أن يكون غاية لما قبلها، في زيادة، والزيادة تشمل القوة والتعظيم، والنقص يشمل الضّعف والتحقير" (يعيش، د ت، 96/8).

معنى هذا أنّ الواجب فيها أن يكون ما يعطف بها جزءا من المعطوف عليه أو مثله. والمحصّل من هذا أنّ ما يسبق (حتّى) وما يليها يجب أن تحكمه علاقة الجزء بالكلّ، وهنا يظهر مفهوم السلميّة. فما يأتي قبلها أضعف أثرا في ايصال النتيجة، في حين أنّ ما يليها أقوى نجاعة في الحجاج، وكلّ هذا من جرّاء أنّ الجزء أكثر إقناعا، لدقّته مقارنة بالكلّ، وأنّ العام لغموضه أقلّ نجاعة مقارن بالخاصّ.

وفي باب التأكيد على دور (حتّى) في البرهنة على سلميّة اللّغة وقدرتها على تجسيد هرميّتها، نفهم ما قاله ابن يعيش في مقولته السابقة خصوصا في قوله "تشتمل القوة والتعظيم"، و"يشمل الضّعف والتحقير". على أنّه مظهر من مظاهر السلميّة في اللّغة. فما يوجد قبل (حتّى) يمكن اعتباره حجّة أولى، وما يوجد بعد (حتّى) يمثّل حجّة ثانيّة، لكن الفرق بينهما أنّ الحجّة الثانيّة أقوى أثرا في التوجيه الحجاجيّ من الحجّة الأولى لاشتمالها على حكم قيمة سلبي أو إيجابي. ( الناجح عزالدين، 2011، ص135).

والمثال الآتي يوضّح الفكرة أكثر:

يقول **النُّورْسِيّ**: "... فعلمت أنّ تلك القصور هي الأناسي، حتّى رأيت كلّ إنسان قصرا، حتّى رأيت نفسي العاصية أيضا قصرا" (النورسي، بديع الزمان، 2006، ص131).

وعله فإنّ الرّابط الحجاجيّ (حتّى) يقوم في حركة التّوجيه الحجاجيّ بتقويّة الحجّة من خلال إخراج الملفوظ من العام إلى الخاصّ، ومن الكلّ إلى الجزء، وفي هذا التمشّي رفع للغموض وتوضّح للمفاهيم.

هذا الأسلوب يجاري فيه **النُّورْسِيّ** الأسلوب القرآنيّ في ضرب الأمثلة وتشبيه الحالات والحجاج عموما، فكأنّه أراد باستعارة مثل هذا الرّابط من القرآن الكريم الاستجابة السّريعة للطّرح والإقناع المباشر الّذي لا محالة واقع مادام يتضمّن حجاج اللفظ والفكرة، وكلاهما مستقى من القرآن الكريم.

**3. خاتمة**

شكلت الرّوابط الحجاجيّة، آليات أساسية رافدة للحجاج في "**المثنويّ العربيّ النوريّ**"؛ حيث أبان **النُّورْسِيّ** من خلالها عن قدرة في الربط بين الأفكار والمفاهيم، وعموما فإنّه أراد باستخدام هذه الأدوات الاستجابة السريعة، والإقناع المباشر الّذي لا محالة واقع مادام يتضمّن حجاج اللّفظ والفكرة معا.

**- المصادر والمراجع:**

1. ابن يعيش، (د ت)، شرح المفصل، دار صادر، بيروت.

2. العزاوي، أبو بكر، (2006)، *اللغة والحجاج*، العمدة في الطبع، المغرب.
3. الدريدي، سامية، (2008)، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة- بنيته وأساليبه، عالم الكتب، إربد- الأردن.
4. الزركشي، بدر الدين، (1994)، البحر المحي- أدوات المعاني، دار الكتبي، السعودية.
5. الشهري، عبد الهادي بن ظافر، (2007)، استراتيجيات الخطاب -مقاربة لغوية تداولية، دار الكتب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان.
6. المبخوت، شكري، (1998)، نظرية الحجاج في اللغة، منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس.
7. المرادي، (د ت)، الجنى الداني في حروف المعاني، دار الكتب العلمية، بيروت.
8. الناجح، عزالدين، (2011)، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين للنشر والتوزيع، تونس.
9. النورسي، بديع الزمان، (2006)، المثنوي العربي النوري، شكرة سوزلر، مصر.
10. بوزناشة. (2008). الحجاج. تأليف *الحجا في اللغة*.
11. بوزناشة، نور الدين، (2000)، الحجاج في الدرس اللغوي الغربي، *مجلة علوم إنسانية، الجزائر*..
12. مدقن، هاجر، (2013)، الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه، منشورات الاختلاف، الجزائر.
13. حميدة، مصطفى، (1998)، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، مصر.